

سورة الفاتحة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (4)

شرح الكلمات:

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} أي الجزاء وهو يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَخُصَّ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ لَا مُلْكَ ظَاهِرًا فِيهِ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى بِدَلِيلِ لِمَنْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ وَمَنْ قَرَأَ مَالِكًا فَمَعْنَاهُ مَالِكُ الْأَمْرِ كُلِّهِ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ هُوَ مُوصُوفٌ بِذَلِكَ دَائِمًا كَغَايِرِ الذَّنْبِ فَصَحَّ وَقُوعُهُ صِفَةً لِمَعْرِفَةِ

المعنى الإجمالي :

{مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويشب ويعاقب، ويتصرف بممالكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين، وهو يوم القيامة، يوم يبدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلائق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار.

كلهم مدعون لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام.

وقوله تعالى : {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} مَالِكِ يَوْمِ الْجَزَاءِ - وهو يوم القيامة - فلا شافع إلا بإذنه، ولا عقاب إلا بأمره، ولا ثواب إلا بفضل.

وفي هذا تربية أخرى للعبد، فإنه إذا آمن بأن هناك يوماً يظهر فيه احسان الحسن، واساءة المسيء، وأن زمام الحكم في ذلك اليوم العظيم بيد الله تكون عنده خُلُقُ المراقبة، وتوقع المحاسبة، فكا ذلك أعظم سبيل لإصلاح كل ما يعمل. وإذا كانت كل نعم الله تستحق الحمد. فإن {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} تستحق الحمد الكبير. لأنه لو لم يوجد يوم للحساب، لنجا الذي مآل الدنيا شرواً. دون أن يجازى على ما فعل. ولكن الذي التزم بالتكليف والعبادة وحرَم نفسه من متع دنيوية كثيرة إرضاء لله قد شقي في الحياة الدنيا. ولكن لأن الله تبارك وتعالى هو {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}. أعطى الاتزان للوجود كله.

هذه الملكية ليوم الدين هي التي حمت الضعيف والمظلوم وأبقت الحق في كون الله. إن الذي منع الدنيا أن تتحول إلى غابة يفتك فيها القوي بالضعيف والظالم بالمظلوم هو أن هناك آخرة وحسابا، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي سيحاسب خلقه. والإنسان المستقيم استقامته تنفع غيره؛ لأنه يخشى الله ويعطي كل ذي حق حقه ويعفو ويسامح. إذن كل من حوله قد استفاد من خلقه الكريم ومن وقوفه مع الحق والعدل

أما الإنسان العاصي فيشقى به المجتمع لأنه لا أحد يسلم من شره ولا أحد إلا يصيبه ظلمه. ولذلك فإن {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} هي الميزان. تعرف أنت ان الذي يفسد في الأرض تنتظره الآخرة. لن يفلت مهما كانت قوته ونفوذه، فطمئن اطمئنا كاملاً إلى أن عدل الله سينال كل ظالم.

إن قال قائل: أليس مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ والدين؟

فالجواب: بلى؛ لكن ظهور ملكوته، وملكه، وسلطانه، إنما يكون في ذلك اليوم؛ لأن الله - تعالى - ينادي: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ [غافر: 16]، فلا يجيب أحد؛ فيقول - تعالى -: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16]

قال ابن القيم في التفسير عن تأويل (مالك يوم الدين)

بقوله:

إنه اليوم الذي يدين الله العباد فيه بأعمالهم، فيبيهم على الخيرات، ويعاقبهم على المعاصي والسيئات، وما كان الله ليعذب أحداً قبل إقامة الحجة عليه، والحجة إنما قامت برسله وكتبه، وبهم استحق الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسبق الأبرار إلى النعيم، والفجار إلى الجحيم [4].

كيفية الاستعداد ليوم القيامة:

1- (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى)، هي آية قرآنية كريمة تبين أن الاستعداد لأي سفر أو أي يوم لا تعرفه هو بالزاد، وزاد المؤمن هو تقوى الله. فإذا قدّمت زاداً كافياً ليوم طويل فقد كفيت نفسك مؤونة الجوع والعطش، وكذلك التقوى تكفيك شرّ ذلك اليوم، وتقوى الله رفع لكل بلوى.

2- قدّم في دنياك خيراً تجد أمامك ما قدّمت، فإذا كانت علاقتك مع الله مبنية على الإيمان به وبرسوله النبي الخاتم عليه الصلاة والسلام فقد قدّمت لنفسك خيراً. وخير ما تقوم به أيضاً هو التزامك بالفرائض وعدم الترك لها خصوصاً الصلاة وكذلك التقرب إلى الله بالنوافل لأنها سبب في محبة الله لك.

3- تفقّه في علوم الدار الآخرة، ويكون هذا التفقّه من فهم كلام الله سبحانه وتعالى ومن صحيح سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام، فأنت إذا علمت ما ينتظرك في يوم القيامة وهو الحق من ربك فستكون بإذن الله تعالى عالماً بأحوالك حين تقوم الساعة. رُدّ المظالم إلى أهلها وأعد الحقوق إلى أصحابها واستغفر الله عمّا مضى تكن مُستعدّاً للقاء الله يوم تقوم الساعة. لا تجعل الدنيا أكبر همك، ولا تجعلها تشغل بالك فكلّما ازدادت بها تعلّقاً كلّما كنت أكثر جزعاً على فراقها، بينما الذين لا يؤتون الدنيا جلّ همهم يكفيهم الله جزع الدنيا والآخرة.

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (488)



مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ

قوله من تفسير سورة الفاتحة الآية 4

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أعدّها (عزمي إبراهيم عزيز)

8- لعل في تقديم "يَوْمِ الدِّينِ" وهو الجانب الأخروي، على العبادة لله تعالى والاستعانة به في الدنيا الواردتين في "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" يفيد أن جانب الدين مقدم على جانب الدنيا .

9- يوم الدين : هو يوم الحساب والجزاء على الأعمال، اليوم الذي يدان فيه الناس بأعمالهم خيرها وشرها، وفي ذلك اليوم يظهر للخلق تمام الملك، وكمال العدل، الذي يعلو كل شيء، فيغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء؛ لأنه سبحانه صاحب السلطان المطلق بقوته غير المحدودة .

10- تنقطع أملاك الخلائق كلهم، فيستوي الملوك والرعايا، والأغنياء والفقراء، الكل خاضع خاشع لله تعالى ينتظر الحساب والجزاء "وَحْشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا" [طه: 108] .

11- حُصَّ يوم الدين بالملك حيث لا يدعي فيه أحد ملكاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه "يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا" [النبا: 38] وإلا فهو سبحانه رب العالمين، مالك للدين والدنيا؛ لأن من ملك الآخرة فهو مالك للدنيا من باب أولى، وهو سبحانه مالك الأزمنة والأمكنة جميعاً، وخص التنبيه على يوم الدين لما فيه من الأمور العظام والأحوال الجسام، والناس في أيامنا لا يكادون يذكرون الحياة الآخرة، فقد طغت عليهم الحضارة المادية؛ فأنستهم لقاء الله .

12- يوم القيامة هو أهم قضايا المؤمن التي يجب أن يهتم بها ويحاسب نفسه عليها، ويعمل في الدنيا من أجلها؛ إذ يترتب عليها السعادة الأبدية، أو الشقاء الأبدى، والعباد بالله تعالى .

13- (مالك يوم الدين) آية تبعث في القلب تعظيم الله تعالى على عظيم ملكه وتفرده بالملك ومجازاة العباد كلهم أجمعين .

14- مالك يوم الدين) آية تشرح صدر المؤمن الطائع ويسعد بها لأنه كلما كررها يزداد إيمانه باليوم الآخر وأن الله تعالى سيجزيه على ما قدم من عمل صالح .

والله أعلم ..

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1- مالك يوم الدين . . معناها أن الله سبحانه وتعالى سيعرف أمور العباد في ذلك اليوم بدون أسباب . . وأن كل شيء سيأتي من الله مباشرة . . دون أن يستطيع أحد أن يتدخل ولو ظاهراً .

2- إذا قال الحق تبارك وتعالى: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . . أي الذي يملك هذا اليوم وحده يتصرف فيه كما يشاء . . وإذا قيل: { مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } . . فتصرفه أعلى على المالك لأن المالك لا يتصرف إلا في ملكه . . ولكن الملك يتصرف في ملكه وملك غيره .

3- عندما يأتي يوم القيامة لا مالك ولا ملك الا الله .

4- الملك في الحقيقة هو الله تعالى؛ إذ لا مالك إلا هو، وإطلاق «ملك» على غير الله تعالى إنما هو على سبيل المجاز .

5- المالك هو من اتصف بصفة الملك، ومن آثارها أنه يأمر وينهي، ويثيب ويعاقب، ويتصرف في ملكه كما يشاء .

6- لما وصف الله تعالى نفسه بالرحمة العامة والخاصة، وأدى ذلك إلى تغليب جانب الرجاء عند العباد أتبعه ببيان أنه سبحانه هو المالك ليوم الفصل والجزاء، وأن رحمته السابق ذكرها في الآية قبلها، والعدل يوم الحساب المذكور في هذه الآية قرينان؛ ليكون المرء على وَجَلٍ من عمله، ويدرك أن لعمله يوماً تظهر له فيه ثمرته من خير أو شر .

7- "مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ" تتحدث عن الدار الآخرة عقب الآيتين : "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ" وهما يتحدثان غالباً عن الحياة الدنيا، وكلا الحياتين متصل، والموت بينهما فاصل برزخي حتى يتكامل فناء العالم، والحياة الأولى هي دار العمل، والحياة الآخرة هي دار الجزاء والخلود، ولا بد أن يكون الجزاء من جنس العمل، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .